

ابو أياد

لحظة إنهيار

جاء استشهاد ابو اياد وابو الهول بتاريخ 15/1/1991، في وقت كانت الامة العربية في لحظة انهيار وانقسام حاد، وكانت حرب الخليج الثانية تحوم فوق المنطقة، لذا فانهما ظلما ولم ينالا حقهم لتخليدهم كشهداء، بعكش الشهيد أبو جهاد الذي خرج في جنازته أكثر من مليون عربي. هذا جعل قيادة فتح تنظم ندوة شارك فيها نخبة من الشخصيات العربية والفلسطينية الهامة، للحديث عن مناقبهما ودونت الندوة في ستة كتب تخليداً لذكراهم.

قابلت الاخ صلاح خلف " أبو إياد " لأول مرة في الكرامة عام 1968، وكنت حينها اعمل كمهندس في سلطة المصادر الطبيعية ومسؤولا عن منطقة الاغوار، ذهبت لاسأل عن الأخ أبو عمار، فقيل لي أنه ليس موجودا، ولكن بإمكانك ان ترى الاخ ابو اياد فهو يأتي بعده، كنت اسمع عنه كقيادي، رحب بي وكان يسمع عني. انطباعي الاول عنه انه حميم، يتكلم بطريقة مقربة الى النفس في الشؤون السياسية، وبعيدة عن التنظير، واعي لطبيعة الامور، ودار الحديث بيننا في كيفية تطوير تدريبات الفدائيين، والارتقاء بالامن لحماية الثورة. في معركة الكرامة كان من المصريين على عدم الانسحاب الى التلال، وبقي في موقعه واقترب الجيش الاسرائيلي المهاجم كثيرا من موقعه.

هذا اللقاء مهد لعلاقات حميمة بيني وبينه، كان يزور مواقع الاشبالي في المخيمات الفلسطينية في الاردن باستمرار، وكنت حينها مسؤولا عن هذه المعسكرات، تعلمت منه الشيء الكثير، وكان صلبا في موقفه وصادقا في مبادئه، عرف عنه ان لا يجامل ولا يساير الاخ ابو عمار، اي انه كان ندا له، والاثنان عرفا بعضهما جيدا، وكنت المس ان الاخ ابو عمار، يحسب له حساب، وان الاثنان متكاملين، ولا احد يستطيع ان يستغني عن الآخر، فالاخ ابو عمار له كاريزما واستقطابات كثيرة داخل فتح، وكذلك ابو اياد له استقطابات ، يستطيع من خلالها ان يشكل تحديا للاخ ابو عمار.

الازمات الكبرى التي مرت بفتح، كانت معظمها بسبب خلافات بين الاثنان، اي ابو اياد، كان باستطاعته ان يخلق ازمة داخلية، اذا ما خالف ابو عمار، لذا كان يتعين عليهما الاتفاق لضمان وحدة فتح. ازمة ايلول وما رافقهما، كان اللحظة الاحرج والاصعب في تاريخ ابو اياد النضالي، وعندما اعتقل مع ابو اللطف، ضغطت عليه السلطات الاردنية، لما له من مكانة امنية، وكونه الرجل الثاني في فتح، لان يوجه رسالة بالاذاعة الاردنية الى المقاتلين الفدائيين يعلن فيها انتهاء القتال، ونتيجة لقناعته

باستحالة تحقيق النصر على الجيش الاردني قبل بذلك، واذاع الرسالة المشهورة بصوته، واثارت حالة واسعة من الاحباط لدى الفدائيين وهزت مشاعرهم، خاصة وانها جاءت من قيادي له دور كبير. واذكر انني كنت في مقر اذاعة فلسطين، واذا بالعاملين فيها ينهارون لدى سماعهم انباء هذه الرسالة، الى درجة ان احدهم قال انه سيطلق الرصاص على نفسه، اذا فعلا ما صحت هذه الانباء، عندها طلبت من هذا ان يتروى، وقلت له حتى اذا كان هذا الامر صحيحا، فان ابو اياد اسير ليقبل ما يريد، ولا تعرف ما هي اسبابه، التي دفعته لمثل هذه الخطوة، وفي كل الاحوال، فان علينا ان نبقي مدافعين عن قيمنا ومبادئنا، والقرار هنا لمن يقاتل . وحقيقة كان الاخ ابو عمار يشعر باستياء شديد بسبب هذه الرسالة، ولكن كان تركيزه على كيفية اطلاق سراح ابو اياد وابو اللطف، واتصل لتحقيق ذلك بالرئيس جمال عبد الناصر ليمارس دوره لدى الملك حسين.

لدى خروجه من الاسر، اصيب بحالة من الاحباط لازمته الى عام 1982، وكان يشعر في اعماق نفسه لو انه لم يواجه هذه الرسالة، وابان الغزو الصهيوني لبيروت عام 1982، لاحظت ان ابو اياد كان يبحث عن الشهادة ، ويتنقل في حركة دائمة بين المواقع، ليشجع المقاتلين على الصمود، ويبدو انه كان يشعر انه بهذا النشاط والاقدام المميز، فانه قد يزيل الاحباط الذي يعاني منه بسبب تلك الرسالة. وحقيقة هذا الدور المميز لابو اياد في ملحمة حصار بيروت، اعاد له الاعتبار على الصعيدين الامني والسياسي. ولعلي اشير الى ان الاخ ابو اياد تعرض لهجمة كبرى في المؤتمر الثالث للحركة، بسبب تلك الرسالة، واذكر ان الاخ كمال عدوان ، وصف تلك الرسالة، بانها بمثابة الفرقة الرابعة التي عملت ضد الفدائيين في الاردن. وفي المؤتمر تقرر ان يستلم مسؤول الامن والرصد، الذي شغله ابو اياد، الاخ ابو يوسف النجار، ولكن ضمير المؤتمر انصف الاخ ابو اياد، وكان ترتيبه الثاني من حيث حجم الاصوات التي نالها، فيما كان ترتيب الاخ كمال عدوان الثامن، وبعد استشهاد الاخ ابو يوسف النجار في عملية الفردان ، عاد الاخ ابو اياد ليستلم مسؤول الامن والرصد، وفي تلك المرحلة استطاع ان ينسج علاقات واسعة ومنتشرة في ارجاء العالم، وخطط لعمليات نوعية ضد اهداف اسرائيلية، من ابرزها عملية ميونخ. كما انه خطط لاغتيال الملك حسين، اذ ارسل مجموعة الى الرباط قبل عقد مؤتمر قمة فاس العربية في عام 1974، وكان العاهل الاردني يرفض الاعتراف بان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، ورغم ان الاجهزة الامنية المغربية، اكتشفت المحاولة، والقت القبض على عناصر المجموعة، ومنهم امين الهندي ومحمد العمري، الا انها كانت من العوامل المهمة التي جعلت الملك حسين يتراجع عن موقفه، ويقبل ان المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

وحقيقة فان الاخ ابو عمار، لم يكن يعرف بهذه المحاولة. وخطط مع ابو يوسف النجار، لتنفيذ عمليه استهدفت رئيس الوزراء الاردني وصفي التل، بسبب دوره في تصفية الثورة الفلسطينية في احداث ايلول وما تبعها، من اقرب الناس الى ابو اياد الشهيدين ابو الهول وابو محمد، لذا فان ارادة الله

شاءت ان يكون استشهدا الثلاثة في يوم واحد. نشأت علاقة حميمة بين ابو اياد وابو الهول، كون ان الاثنين يعملان في نفس المجال، فالاول كان مسؤولا عن الامن الموحد لمنظمة التحرير، فيما الثاني كان مسؤولا عن امن حركة فتح. وكان ابو الهول اداة التوفيق بين ابو اياد وابو عمار، واذا ما نشأت خلافات، فانه الاقدر على التقريب بين وجهات نظرهما.